

الدعوة للطاعة

النجاح

إننا جميعًا نُولد وعندنا الرغبة في النجاح، والرغبة في تحقيق الأمور. ونلاحظ هذا في الطفل الصغير وقت مبكر من حياته الذي يشعر بالسعادة عندما يتمكن من الضغط على زر فيصدر عن ذلك صوت أو عندما يبكي فيجذب انتباه الأم. إن هذه الرغبة وهذا الطلب وهذه القوة الدافعة للنجاح كلها أمور ضرورية، لأنه بدونها لا يعود لنا وجود. لن يتحقق أي شيء. لن تتغير الحفاضات ولن يكون لدى الإنسان الناضج أي حافز للعمل. نحن نُولد وعندنا رغبة في النجاح. وبعد هذا القول، لا شيء يساهم في المشاكل العاطفية أكثر من فشلنا في النجاح. إن عدم النجاح هو أحد أكبر العوامل المساهمة المؤدية إلى الاكتئاب والإحباط والتعاسة والتثبيط والفقر وإدمان المخدرات والانسحاب من الارتباطات الاجتماعية وتفكك الزوجات، وتؤدي في أسوأ الحالات إلى الانتحار.

ولكن الآن هناك تمييزًا كبيرًا بين تعريف النجاح حسب "المعايير العالمية" وتعريفه حسب "معايير الله". من الواضح لقارئ الكتاب المقدس إنه يمكن أن يكون الإنسان ناجحًا جدًا في أمور العالم ومع ذلك يكون فاشلاً تمامًا في الأمور المختصة بالأبدية. على العكس من ذلك، يمكن أن يكون الإنسان ناجحًا جدًا في ضوء الأبدية ويبدو فاشلاً في نظر العالم. دعونا نلقي نظرة على بعض الأمثلة:

الرب يسوع المسيح: كان الرب يسوع في نظر الكثيرين من الطغاة والحكام المسيطرين وغيرهم إنسانًا ضعيفًا وفاشلًا لأنه كان يملك السلطة لإقامة مملكة أرضية أعظم من الممالك المصرية والبابلية واليونانية والرومانية معًا، لكنه سمح أن يسخر الناس منه وتم تعليقه بكل خزي على الصليب، وتركه جميع أتباعه باستثناء حفنة منهم، وتوفي في عمر الثالثة والثلاثين. كان الرب يسوع في نظر العالم لا يرقى إلى مستوى إمكاناته. لقد كان فشلًا هائلًا. ومع ذلك، لأنه مات وقام من الموت مرة أخرى، فمن المعترف به إنه هو الشخص الأكثر تأثيرًا من كل من عاشوا على هذا الكوكب.

نوح: مثال آخر هو نوح الذي جعل نفسه أضحوكة، حيث أمضى مائة وعشرين سنة من حياته في بناء سفينة ضخمة على بعد خمسمائة ميل من أي كتلة مائية يمكنها ان تحملها. لقد أصبح سخرية للعالم في جيله، إلى أن غرق كل من حاول أن ينقذهم بسبب عدم إيمانهم به. نعم حقًا، قد تبدو مثل أحمق في عيون العالم، ولكن في السماء يقدرونك كأنجح شخص في زمانك.

الرسول بولس: إذ كان بولس يرغب في بناء الكنائس لتكون نسخًا من الكنيسة الأولى في سفر أعمال الرسل، عمل بجدية أكثر من أي إنسان عاش على وجه هذا الكوكب. كانت هذه الكنائس بدون عيب أو غضن أو لوم أو أي شيء من هذا القبيل "لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهَّرًا إِيَّاهَا بِغَسَلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ" (أفسس ٥: ٢٧). لكن في وقت موته كانت معظم الكنائس التي أنشأها جسدانية (دنيوية). كانت مجازاته عن كل جهوده في حب شعب الله والصلاة من أجلهم وتعليمهم هو رفض معظم الناس له. فقال قرب نهاية حياته: "أَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا أَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ فِي أَسِيَّا ارْتَدُّوا عَنِّي" (تيموثاوس الثانية ١: ١٥)؛ لِأَنَّ لَيْسَ لِي أَحَدٌ آخَرَ نَظِيرُ نَفْسِي يَهْتَمُّ بِأَحْوَالِكُمْ بِإِخْلَاصٍ مِثْلَ تِيموثَاوَسَ (فيلبي ٢: ٢٠). وفي محاكمته الأخيرة قبل الاستشهاد قال: "فِي احْتِجَاجِي الْأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي، بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكَونِي. لَا يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ" (تيموثاوس الثانية ٤: ١٦). وتم قطع رأسه ليبدو كأنه فاشل في خدمته. إلا إن الزمن والأبدية لهما رأي آخر يحكيانه عنه.

هل تدرك القصد هنا يا صديقي العزيز؟ قد تبدو فاشلاً في العديد من الأمور في هذا العالم، ولذلك يقول الشيطان إنك لا تصلح لأي شيء. هذا يستنزف القوة من حياتك. "لِذَلِكَ قَوْمُوا الْأَيْدِيَ الْمُسْتَرَحِيَّةَ وَالرُّكْبَ الْمُخَلَّعَةَ، وَاصْنَعُوا لِأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لَا يَعْتَسِفَ الْأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى" (عبرانيين ١٢: ١٢، ١٣)؛ لِأَنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَعِيشُ حَسَبَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُسَرُّ وَيَفْرَحُ بِكَ فِي الْعَمَلِ وَفِي الْبَيْتِ وَفِي الْكَنِيسَةِ وَفِي مَلَكُوتِهِ. فَأَنْتَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى ابْتِسَامَةٍ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ. لِيَكُنَ اللَّهُ هُوَ مَنْ يَقِيمُكَ وَيَرْفَعُكَ وَلَيْسَ الْإِنْسَانُ. فلا يمكنك أن تفعل ما هو أفضل في أي مكان في العالم مما تفعله عندما تثبت في السيد المسيح. فإن كنت تثبت فيه فإنه هو يثبت فيك، وتحمل ثمرًا كثيرًا. إن الثبات فيه يجعلك أكثر نجاحًا، ولن يهتك أي شيء آخر في الأبدية.

قد تكون أفضل عازف للموسيقى، أو أنجح مهندس، أو حائزًا على جائزة نوبل في الفيزياء، ولكن ما لم تكن قد فعلت إرادة الله، فإن كل هذه الإنجازات في حياتك لا

تعني شيئاً في ضوء الأبدية. لا شيء! فليس في السماء مكان لجوائز الإنسان. ومع ذلك يربي معظم الآباء أطفالهم على ملء رفوفهم بالجوائز. وقد أعطى الرب يسوع هذا التحذير للفريسيين: "كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟" (يوحنا ٥: ٤٤). إن السعي خلف كرامة الإنسان تهدم المسيحية لديك بتحويل تركيزك عن الرب يسوع مما يؤدي إلى عدم الإيمان عندما يتعلق الأمر بفهم حجم الله وكفائاه لك وطرقه في عمل الأشياء. فأنت إما أن تركز على جانب أو على جانب آخر؛ إما كرامة الإنسان أو كرامة الله. قال الرب يسوع: "لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ... لَكِنْ اطْلُبُوا أَوْلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ" (متى ٦: ٢٤، ٣٣). أولاً معناها أولاً، كل الوقت. فإن كنت تطلب نعمة الله أولاً، فلن يوجد مجال لطلب الكرامة من الناس.

بالطبع هذا لا يعني أن أبناء الله لن يكرمهم الناس أبداً. فمثلاً، نال يوسف ودانيال الكرامة من الناس. إن معظم المسيحيين، بسبب حياتهم الصالحة ينالون الكرامة من الناس في بعض الأوقات. إنهم أمناء ومجتهدون في العمل وطييون وحكماء ومباركون. لكن عاجلاً أو آجلاً، سيأتي العديد من أبناء الله إلى مفترق الطرق حيث يوجد صراع، مثلما يحدث عندما يطلب منهم صاحب العمل القيام بأمور تنتهك شريعة الله. ومن أمثلة ذلك يوسف ودانيال. فعندما رفض يوسف التخلي عن طهارته فقد وظيفته (تكوين ٣٩). وعندما رفض دانيال أن يتوقف عن الصلاة لإلهه، حُكِمَ عليه بالموت (دانيال ٦).

ولكي تحافظ على الشركة مع ربك، كابن الله، ينبغي عليك التضحية بكرامة الناس من أجل اكتساب كرامة الله. بعد ذلك، ستبدأ في الظهور كخاسر في العالم. ولكن الأمر يستحق ذلك إن كان هذا هو ما يلزم للحفاظ على وجود الله في حياتك. بمجرد أن تكون فائزاً مع الله فستظل رابحاً في كل الأمور، بطريقة أو بأخرى. تذكر أن الرب هو راعيك طول الوقت، ويسدد احتياجاتك. لا يمكنك أن تتحمل أن تخسر راعيك، فلو خسرت فسيخسرك هو أيضاً. لا يمكنك الوصول إلى السماء بدون السعي وراء إرادة الله وكرامته. لا يمكنك! توقف عن مطاردة الكرة الخاطئة. فانتهبه يا صديقي، لأنك أنت ابن الله. هذا أمر رائع.

ربما كان أحد أكثر المسيحيين حيوية الذين قابلتهم في حياتي هو حفار للخنادق، كان يحفر الخنادق لخطوط الأنابيب في كندا. كما كان أيضًا أحد أسعد المسيحيين الذين قابلتهم في حياتي على الإطلاق، وكان ملتهمًا بالله. كان وجهه يشع دائمًا بمجد الله كما لو إنه واضح إحدى قدميه في السماء. يمكنك أن تقول عند النظرة الأولى إليه أنه ينتمي إلى عالم آخر. يا صديقي، قد يكون مصيره هو الجلوس عن يمين الرب يسوع. فمن الأرجح أن ينال الحفارون وعمال المنازل وغسالات الصحون وكناسو الشوارع على هذا المقعد، أكثر من أي إنسان آخر في هذا العالم. لقد عرف هذا الرجل من هو ومن كان إلهه.

هل تعرف من أنت ومن هو إلهك؟ حسنًا، لقد حان الوقت لمعرفة ذلك. أنت ابن الملك، والوارث مع الرب يسوع المسيح، أنت صديق للسيد المسح ومن ضمن إخوته وستجلس على العرش معه إلى الأبد. لا تجعل نفسك تبدو في موضع الرثاء. اسلك كملك وتصرف كملك واحكم كملك. إنك تحكم بالصلاة. الله يفرح بسعيك نحو إرادته. وسروره أكثر من رائع في ضوء الأبدية، بصرف النظر عن معيشتك في قصر أو في كوخ، سواء كنت تعيش على الفتات أو خمس وجبات، وسواء كنت متعلمًا أو جاهلاً، وسواء كنت حفارًا للخنادق أو جراحًا لامعًا في جراحة المخ والأعصاب. السؤال هو: "هل تعيش حسب مشيئة الله؟". اعرف من أنت واعرف الله. أنت له وهو لك.

ما هي مشكلتك إذن؟ فليمتلئ قلبك بالتسبيح والسجود لله. ابذل قصارى جهدك في عملك، ولكن لا تسلك حسب العالم. تذكر أن الكتاب المقدس يدعوك أيضًا غريبًا وأجنبيًا في هذا العالم، فبمجرد أن تتبع الرب يسوع لن تشعر أنك في وطنك في هذا العالم. لن تكون واحدًا من أهل العالم بعد الآن. ينبغي أن يكون لديك وأنت وأفراد عائلتك عقلية الأقلية. لكن يا صديقي، سيكون الأمر مختلفًا عندما تصل إلى السماء.

كن أمينًا وفي النهاية يعطيك الله أن تأكل من ثمرة شجرة الحياة. كما سيعطيك إكليل الحياة. وينجيك من الموت الثاني الذي هو جهنم، ويجعلك تأكل المن المخفي، ويعطيك حجارة بيضاء تحمل اسمًا جديدًا محفورًا عليها؛ ويعطيك سلطانًا على الأمم. ويلبسك ثيابًا بيضاء، ويجعلك عمودًا في هيكله ويهبك الجلوس معه في عرشه (رؤيا ٢؛ ٣). مرة أخرى سألك: "ما هي مشكلتك؟ لماذا ترتخي يداك وتضعف ركبتك؟" والآن، نختم هذا الكلام بهذا القول الرائع: "حِينَئِذٍ كَلَّمَ مُنْفُو الرَّبِّ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيْبَهُ،

وَالرَّبُّ أَصْغَى وَسَمِعَ، وَكُتِبَ أَمَامَهُ سِفْرٌ تَذَكَّرَةٌ لِلَّذِينَ اتَّقُوا الرَّبَّ وَلِلْمُفَكِّرِينَ فِي اسْمِهِ.
وَيَكُونُونَ لِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنَا صَانِعٌ خَاصَّةً، وَأُسْفِقُ عَلَيْهِمْ كَمَا
يُسْفِقُ الْإِنْسَانُ عَلَى ابْنِهِ الَّذِي يَخْدِمُهُ" (ملاخي ٣: ١٦، ١٧).

بعد كل ما قلته لك، فإنني أقترح عليك أن تسك ذاتك في مخدع الصلاة لمدة ساعة أو
ساعتين، وتأمل حياتك بمعونة الروح القدس، وقرر إن كنت ناجحًا في نظر الله. إن
لم تكن كذلك، فاعمل التصحيحات الضرورية لكي تحصد فرح الرب على الفور.
أمين وأمين!

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA